سلسلة العبادات القلبية

توحيد الله تعالى

في عبادة اليقين: مسائل عقدية وأحكام

كتاب تفاعلي

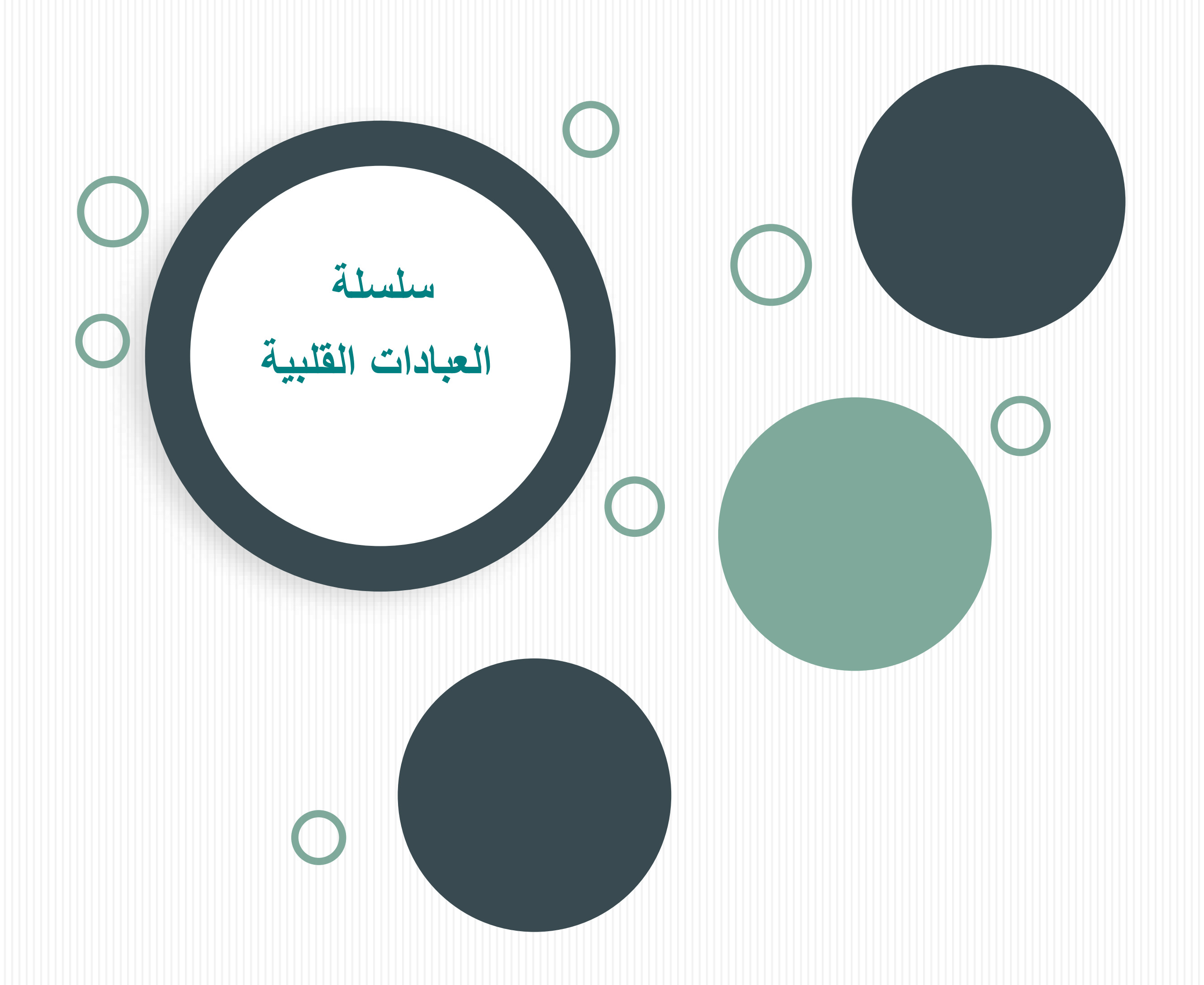
منى الشمري

توحيد الله تعالى في عبادة اليقين

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري





قال الله عز وجل

{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)}

[الذاريات: ٢٠-٢٣]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله نبينا وإمامنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اليقين كمال العلم بـ"لا إله إلا الله"، يرسخ به الإيمان، ويقوى بقوته الإحسان، وبه ترتفع الدرجات وتُؤتى ثمار الأعمال الصالحات، فهو علامة للإيمان الحقيقي الذي لا يشوبه شك أو تردد، ومرتبة عالية سامية يتفاوت الناس في درجاتها.

اليقين خلق الأنبياء والعباد الصالحين المتقين؛ فهو يروض القلب على التخلي عن كل ما يشغل الإنسان عن الله تعالى، ويربي النفس على الاستقامة والخشية والشجاعة والثقة والسكينة.

فاليقين سريرة يُقبل بها العمل الصالح، ويُسد بها باب الشبهات، فتسكن النفس لأمر الله تعالى، وتكون في حال من الرضا والتسليم ترتقي بها مدارج الكمال في التقوى.

ولتأثير اليقين قوة وضعفًا على عمل المسلم وصلاحه، وسلوكه طريق الهدى المستقيم جمعنا بعض الأحكام العقدية في هذه العبادة لتكون إضاءات في سلسلة العبادات القلبية.





المحتويات




شبكة
الألوكة


مفهوم اليقين ومعانيه
١



اليقين لغة: من يقن الماء في الحوض إذا استقر ودام وثبت [١]

اليقين: العلم وزوال الشك. يقال منه: يقنت الأمر يقنا، وأيقنت، واستيقنت، وتيقنت، كله بمعنى (وأنا على يقين منه).

وإنما صارت الياء واوا في قولك موقن للضمة قبلها.

وإذا صغرته رددته إلى الأصل وقلت مييقن.[٢]

---

(١) المصباح مادة (يقن)
(٢) كتاب الصحاح في اللغة والعلوم – أبو نصر الجوهري – ص ٥٩٠٥

اليقين: ما أذعنت النفس إلى التصديق به، وقطعت به، وقطعت بأن قطعها به صحيح، بحيث لو حكي لها عن صادق خلافه لم تتوقف في تكذيب الناقل.

كقولنا: الواحد أقل من الاثنين، وشخص واحد لا يكون في مكانين، ولا يتصور اجتماع ضدين.

جاءت كلمة اليقين في الاستعمال القرآني على خمسة أوجه:

الأول: التصديق: ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة:٤].

أي: بالبعث يصدقون.

الثاني: الصدق: ومنه قوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢]. أي: بخبر صدق.

الثالث: المشاهدة والعيان: ومنه قوله تعالى: {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر:٥]. أي: علم العيان.

الرابع: الموت: ومنه قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:٩٩]. يعني: الموت.

الخامس: العلم المتيقن: ومنه قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} [النساء: ١٥٧]. أي: وما قتلوه علمًا.

الوجوه والنظائر، الدمغاني ص ٤٧٨، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٦٣٥، ٦٣٦، الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري ص ٥١٠



أما " اليقين " فهو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، وهو معنى ما يقولون: " ماء يقن " إذا استقر عن الحركة.

وضد اليقين الريب؛ وهو نوع من الحركة والاضطراب، يقال: رابني يريبني ومنه في الحديث:

{أن النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم مَرّ ظَبي حاقِفٌ فقال لا يَريبُهُ أحدٌ} (١)

ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب.

فإن العبد قد يعلم علما جازما بأمر؛ ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم؛ كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه؛ ولا خالق غيره؛ وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه.
وقد لا يصحبه العمل بذلك؛ إما لغفلة القلب عن هذا العلم، والغفلة هي ضد العلم التام، وإن لم تكن ضدا لأصل العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب وإما لغير ذلك.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج ٣ ص٣٢٩
(١) رواه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد، برقم (٢٨١٨).



اليقين: هو قوة الإيمان والثبات، حتى كأن الإنسان يرى بعينه ما أخبر الله به رسوله من شدة يقينه.

فاليقين: هو ثبات وإيمان ليس معه شك بوجه من الوجوه.

فيرى الغائب الذي أخبر الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه حاضر بين يديه، وهو أعلى درجات الإيمان.

اليقين معناه: أن يكون مؤمنا بالله عن جزم وعن يقين، يؤمن بأن الله ربه المعبود بحق، وأنه لا يستحق العبادة سواه، وأنه خالق كل شيء، وأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن الله سبحانه يجب أن يعبد وحده ويخص بالعبادة.

ويجب على المؤمن أن يحذر شر لسانه في تنقص ربه أو نفي صفاته أو التهاون بما أوجب عليه.

يكون المؤمن متيقنا أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه لا رب سواه ولا خالق سواه، ولا يستحق العبادة غيره سبحانه وتعالى، فيتيقن أنه سوف يجمع الناس يوم القيامة، سوف يجازيهم بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ويتيقن أن الله سبحانه سوف يفي بوعده، سيدخل المؤمنين الجنة كما وعدهم، ويدخل الكفار النار كما وعدهم سبحانه وتعالى.

وهكذا كل ما أخبر الله به ورسوله في القرآن أو بالأحاديث الصحيحة يكون المؤمن مؤمنًا بذلك، يصدق بذلك، ولا يشك في ذلك.



قال الحسن البصري رحمه الله:

"ما أيقن عبد بالجنة حق يقينها إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتى يأتيه الموت"

ابن أبي الدنيا : اليقين (٩٧)



اليقين: هو أن ينطق بالشهادة عن يقين يطمئن إليه قلبه، دون تسرب شيء من الشكوك التي يبذرها شياطين الجن والإنس، بل يقولها موقناً بمدلولها يقيناً جازماً.

فلابد لمن أتى بها أن يوقن بقلبه، ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية من عداه، وأنه لا يجوز أن يُصرف لغيره شيءٌ من أنواع التأله والتعبد.

فإن شك في شهادته، أو توقف في بطلان عبادة غير الله؛ كأن يقول: أجزم بألوهية الله، ولكنني متردد ببطلان إلهية غيره بطلت شهادتُه ولم تنفعه.

قال تعالى مثنياً على المؤمنين: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة:٤] .

وقد مدح الله المؤمنين أيضاً بقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات:١٥].

وذم المنافقين بقوله: {...وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [التوبة:٤٥] .



الصلة بين العلم واليقين:

إن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة،

واليقين: هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم، ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى باليقين.

وقيل: اليقين: لا شك فيه، فهو استقرار العلم الذى لا يحول ولا ينقلب ولا يتغير فى القلب.

والعلم يعارضه الشكوك، وهو على درجات، فمن أعلى درجات العلم ومن أكملها وأرفعها وأقواها وأثبتها درجة اليقين.

موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – اليقين - بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٥/٣٩٧ بتصرف.

الصلة بين اليقين والظنِّ:

اليقين: قطعيٌّ لا ظنَّ ولا شك فيه، لذلك لا يوجد طرفان ليتم الترجيح بينهما.

الظنُّ: فيه شك، ويتطلب رجحان أحد طرفي التجوز.

الصلة بين اليقين والشكِّ:

اليقين: مؤكد الاختيار فلا تردد ولا حيرة في أخذه.

والشكُّ: فيه تردد بين الأشياء لا يعرف أيهما أصحّ من الآخر.

الصلة بين اليقين والصدق:

قد يلتبس على بعض الناس الأمر في موضوع اليقين والصدق.

لذا يقال: إن اليقين أعم من التصديق، وعلى ذلك يكون كلُّ موقن مصدقاً، وليس كل مصدق موقناً.

أي بينهما عموم وخصوص كما يقول أهل الأصول؛ أي أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق.


منزلة اليقين ودرجاته
٢



قال بعضهم:

((رأيت الجنة والنار حقيقة. قيل له: وكيف؟ قال: رأيتهما بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورؤيتي لهما بعينيه آثر عندي من رؤيتي لهما بعيني؛ فإن بصري قد يطغى ويزيغ، بخلاف بصره صلى الله عليه وسلم)).

كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج ٢ ص ٣٧٧



من منازل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] **منزلة اليقين**

وهو من الإيمان منزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون.

وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين.

قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

وخص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات: ٢٠].

منزلة اليقين

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين فقال: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)} [البقرة: ٤ - ٥].

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} [الجاثية: ٣٢].

فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح. وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة لله وخوفًا منه

ورضا به وشكرًا له وتوكلا عليه وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها.

كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج ٢ ص ٣٧٤

اليقين أحد شروط لا إله إلا الله:

كلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا إذا عمل بشروطها، فقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بشروطها، وكذلك اليهود تقولها وهم من أكفر الناس لعدم إيمانهم بها، وهكذا عباد القبور والأولياء من هذه الأمة يقولونها بألسنتهم وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم؛ ولهذا ذكر بعض أهل العلم لها سبعة شروط ونظمها بعضهم بقوله:

العلم **واليقيـــــــن** والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبـــــه

اليقين المنافي للشك، فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله تعالى هو المعبود بحق؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن أو التوقف والتردد فكيف إذا دخله الشك، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} إلى قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سورة الحجرات: ١٥]

وقال - صلى الله عليه وسلم -:
((أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنةَ)) (١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - في حديث طويل لأبي هريرة - رضي الله عنه -:
((اذهبْ بنعلي هاتينِ، فمن لقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا اللهُ مُسْتَيْقنًا بها قلبُه فبشِّرْه بالجنةِ)) (٢).

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - ((اليَقينُ: الإيمانُ كُلُّه، والصَّبرُ نِصفُ الإيمانِ)) (٣)

ولا شك أن من كان موقناً بمعنى لا إله إلا الله فإن جوارحه تنبعث لعبادة الرب وحده لا شريك له، ولطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: ((اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَيَقِينًا وَفِقْهًا)) (٤)

كتاب العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة – سعيد بن وهف القحطاني – ص ٣٣

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم ٢٧.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم ٣١
(٣) أخرج البخاري الجزء الأول منه من قول ابن مسعود في كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((بني الإسلام على خمس)) ص ٢٥، ط بيت الأفكار الدولية، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١/ ٤٨: ((وصله الطبراني بسند صحيح)).
(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وعزاه لأحمد في الإيمان بإسناد صحيح. - فتح الباري١/ ٤٨.

اليقين أعلى درجات الإيمان:

اليقين هو أعلى درجات الإيمان، لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك، فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب فيما يتعلق بالله عز وجل أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر أو غير ذلك وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة المشاهد، فهذا هو كمال اليقين.



قال ابنُ حِبَّان البستي:

(ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية، وكان ذلك عن يقين من قلبه، لا أن الإقرار بالشهادة يوجب الجنة للمقر بها دون أن يقر بها بالإخلاص)

كتاب صحيح ابن حبان (١/٤٢٩).



اليقين مراتبه ثلاثة كل واحدة أعلى مما قبلها:

أولها: علم اليقين: وهو العلم المستفاد من الخبر.

ثم عين اليقين: وهو العلم المدرك بحاسة البصر.

ثم حق اليقين: وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة.

وهذا القرآن الكريم بهذا الوصف؛ فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ج ٨ ص ٨٨٤

ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين؟

علم اليقين: متعلق بالإدراك، وأما عين اليقين فمتعلق بالحاسة التي تُوصِّلَ بها إلى الإدراك.

قال تعالى: {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر:٧] أي: ترونها على وجه لا يمكن أن يدخل الإنسان فيه شك؛ لأن الكفار امتروا وكذّبوا بالآخرة، فأخبر الله جل وعلا: أن الفصل بين من صدّق بالآخرة وكذب بها أن يرى الناس ذلك في عرصات يوم القيامة، حيث قال سبحانه: {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر:٧]

فالمقصود: أن هذا متعلق بالإحساس، وهذا متعلق بالإدراك، وكل منهما له معناه.



إن من المعلوم لكل أحد أن إقرار القلب إنما يتبع العلم؛ ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه، فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الاثنين وهكذا، وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة.

فاليقين درجات متفاوتة

وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم، بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أنه يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقيناً في أوقات وحالات أخرى.



قال ابن تيمية:

(إن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه، كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد، مثل: رؤية الناس للهلال وإن اشتركوا فيها، فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض، وكذلك سماع الصوت الواحد، وشم الرائحة الواحدة، وذوق النوع الواحد من الطعام؛ فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة، والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها).

كتاب مجموعة الفتاوى - شيخ الإسلام ابن تيمية - ج ٧ ص ٢٣٤

اليقين يختلف الناس فيه:

الإنسان نفسه أحيانا يكون في حالة صفاء، وفي حالة فراغ، ويكون قلبه خاليا من كل شيء سوى الله، فيجد لذة عظيمة في الإيمان وقوة عظيمة، حتى كأنه يشاهد الله عز وجل، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الإحسان:

"أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" (١)

كتاب تفسير سورة المائدة – محمد بن صالح العثيمين – ج ٢ ص ١٦١

(١) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩)



الإحسان على مرتبتين واحدة أعلى من الأخرى

الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه، بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله كأنك تشاهد الله عيانا، ليس عندك تردد أو أي شك، بل كأن الله أمامك سبحانه وتعالى تراه عيانا، فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان.

تعبد الله كأنك تراه من كمال اليقين وكمال الإخلاص، كأنك ترى الله عيانا، والله جل وعلا لا يرى في الدنيا، وإنما يرى في الآخرة، ولكن تراه بقلبك حتى كأنك تراه بعينيك، ولذلك يجازى أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه سبحانه وتعالى؛ لما عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا، جازاهم الله بأن أفسح لهم المجال بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم.

قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] الزيادة هي النظر لوجه الله، السبب أنهم أحسنوا في الدنيا، فأعطاهم الله الحسنى وهي الجنة، وزادهم رؤية الله عز وجل.

تعبد الله كأنك تراه على المشاهدة، والمحبة والشوق إلى لقائه سبحانه وتعالى، تتلذذ بطاعته، وتطمئن إلى طاعته سبحانه وتعالى، تشتاق إليها، هذه طريقة المحسنين.



الإحسان على مرتبتين واحدة أعلى من الأخرى

المرتبة الثانية:

إذا لم تبلغ هذه المرتبة العظيمة فإنك تعبده على طريقة المراقبة؛ بأن تعلم أن الله يراك ويعلم حالك ويعلم ما في نفسك، فلا يليق بك أن تعصيه، وأن تخالف أمره، وهو يراك ويطلع عليك.

وهذه حالة جيدة، ولكنها أقل من الأولى، وما دمت أنك تعلم أنه يراك فإنك تحسن عبادته وتتقنها؛ لأنك تعلم أن الله يراك،

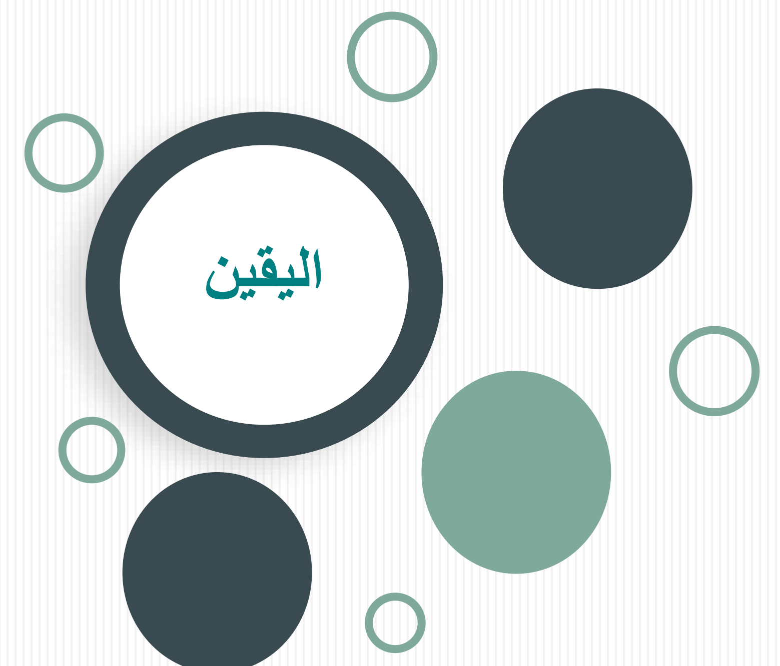
ولله المثل الأعلى لو كنت أمام مخلوق له منزلة وأمرك بأمر، وأنت تنفذ هذا الأمر أمامه وينظر إليك، هل يليق بك أن يقع منك إخلال بهذا الفعل؟

الحاصل: أن الإحسان على مرتبتين:

مرتبة المشاهدة القلبية: وهي أن تعبد الله كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترى الله عز وجل عيانا.

والمرتبة الثانية: وهي أقل منها، أن تعبد الله وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تخالف أمره سبحانه وتعالى.

هذه مرتبة الإحسان وهي أعلى مراتب الدين، من بلغها فإنه بلغ أعلى مراتب الدين.



يقين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

{قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦٢]

{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠]

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات: ٩٩]

{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧]

{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٨١]


شبكة
الألوكة


ثمرات اليقين
٣



قال الحسن البصري رحمه الله:

((ما طُلبت الجنة إلا باليقين، ولا هرب من النار إلا باليقين،

ولا أُديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر على الحق إلا باليقين))

ابن أبي الدنيا : اليقين (١٠٢)



باليقين يكون التوكل التام:

اليقين يثمر ثمرات جليلة:

منها **التوكل على الله عز وجل**، والتوكل على الله اعتماد الإنسان على ربه عز وجل في ظاهره وباطنه، في جلب المنافع ودفع المضار: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]

ففي هاتين المرتبتين (اليقين والتوكل) يحصل للإنسان مقصده في الدنيا والآخرة، ويستريح ويعيش مطمئنا سعيدًا، لأنه موقن بكل ما أخبر الله به ورسوله، ومتوكل على الله عز وجل.

باليقين يكون الزهد وتورث الحكمة:

قال ذو النون: اليقين يدعو إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، وهي تورث النظر في العواقب.

قال: وثلاثة من أعلام اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنع.

وثلاثة من أعلامه أيضا: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.



باليقين تكون الإمامة في الأرض:

قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

في الآية إشارة إلى ما ينبغي أن يكون المرشد عليه من الأوصاف، وهو الصبر على مشاق العبادات وأنواع البليات، وحبس النفس عن ملاذ الشهوات، والإيقان بالآيات، فمن يدعي الإرشاد وهو غير متصف بما ذكر فهو ضال مضل.



باليقين يكون الانتفاع بهداية القرآن ورحمته:

قال تعالى: {هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: ٢٠].

يبين الحق سبحانه وتعالى أن الإيمان واليقين بالقرآن وما فيه من شرع الله يجعل صاحبه يدرك الفلاح في الدنيا والآخرة. فلا شك أن هذا القرآن واتباع الشريعة بصائر لقلوب الناس، كما جعل روحًا وحياة لها، فإن من تمسك بالكتاب والسنة وأمعن فيهما النظر وعمل بمقتضاهما فتحت بصيرته، وحيي قلبه، وهدى من الضلالة ورحم من العذاب، ولا يتحقق ذلك كله إلا لأصحاب اليقين الثابت الذي لايتزعزع ولا يتزحزح.

وجعل الهدى والرحمة لقوم يوقنون؛ لأنه لا يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته، ولا يرحم به إلا من اتبعه المؤمن بحقيته.

وذكر لفظ (قوم)؛ للإيماء إلى أن الإيقان متمكن من نفوسهم، كأنه من مقومات قوميتهم التي تميزهم عن أقوام آخرين. وإنما خص الموقنين بأنه لهم هدى ورحمة؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه دون من كذب به من أهل الكفر فإنه عليهم عمى.



باليقين يكون الثبات على الأعمال الصالحة:

يقول تعالى في آخر آية في سورة الحجر: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].

فقوله: (حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أي: الموت، قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور.

وسمي يقينًا؛ لأنه موقن به، فمعنى الآية: اعبد ربك أبدًا.

ولو قيل: اعبد ربك بغير توقيت، لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعًا، فلما قال: (حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أمر بالإقامة على العبادة ما دام حيًّا؛ فالمؤمن الحقيقي تكون عبادته لله ليست عبادة مؤقتة أو مرتبطة بزمان معين أو مكان معين أو عبادة ليسر أو عسر، بل عبادة الموقن الحقيقي عبادة دائمة وفي كل الأوقات والأزمان والأماكن.



باليقين تكون الثقة في وعد الله ووعيده:

يقول تعالى في آخر سورة الروم: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: ٦٠] مما يدل على أن

كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه، فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور. فالله المستعان.

وهى تحمل إلى النبي الكريم دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى الصبر على ما يلقى من قومه من مكاره، مستعينا على

الصبر واحتمال المكروه، بما وعده ربه من نصر لدين الله الذي يدعو إليه، ومن تمكين له وللمؤمنين معه في هذه الدنيا،

ومغفرة من الله ورضوان فى الآخرة، هذا إلى ما يلقى هؤلاء المشركون الضالون من خزي وخذلان فى الدنيا، وعذاب

شديد في الآخرة، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه على هذا اليقين الذي تزول الجبال ولا يزول.



باليقين يكون الصبر:

من تأمل حال إبراهيم عليه السلام وما جرى عليه وجد أنه في غاية ما يكون من مراتب الصبر، وفي غاية ما يكون من مراتب اليقين؛ لأنه لا يصبر على هذه الأمور العظيمة إلا من أيقن بالثواب، فمن عنده شك أو تردد لا يصبر على هذا، لأن النفس لا تدع شيئا إلا لما هو أحب إليها منه، ولا تحب شيئا إلا ما ظنت فائدته أو تيقنت.

كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح العثيمين – ج ١ص ٩٣



باليقين تهون مصائب الدنيا:

قَلَّما كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:

"اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ بِهِ بينَنَا وبينَ معاصيكَ ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جنتَكَ، **ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا**، اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا ، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثَأْرَنا عَلَى مَنْ ظلَمَنا، وانصرْنا عَلَى مَنْ عادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنا في دينِنا، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا"

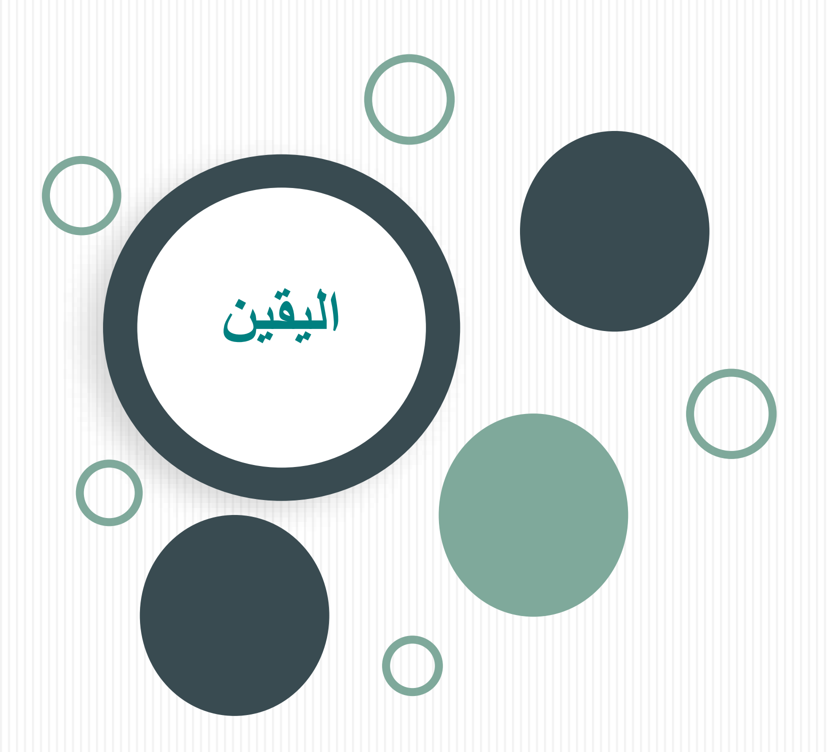
أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٣٤)، والطبراني في ((الدعاء)) (١٩١١)



باليقين يكون الرضا بحكم الله تعالى:

وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

تبين لنا الآية أن اليقين والإيمان الحقيقي من علاماته الرضا بحكم الله في كل الأحوال، وفي كل الأمور، ونبذ كل حكم يخالف حكم الله ورسوله، فالقوم الموقنون هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكمًا من الله سبحانه وتعالى، فيرضون به ويقومون بتنفيذه دون تردد أو تكاسل؛ لأن ذلك نابع من إيمان حقيقي لا تردد فيه.



قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

"يا غلامُ إني مُعَلِّمُكَ كلماتٍ ، احفظِ اللهَ يحفظكَ ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجَاهَكَ ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ ، جَفَّ القلمُ بما أنتَ لاقٍ ، فلو جَهِدَتْ الخليقةُ على أن يضروكَ لم يضروكَ إلا بشيءٍ كتبَهُ اللهُ عليكَ ، فإنِ استطعتَ أن تعملَ للهِ بالرضا مع اليقينِ فافعل ، فإن لم تستطع فإنَّ في الصبرِ على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا"

أخرجه الترمذي (٢٥١٦) مختصراً بنحوه، وأحمد (٢٨٠٣) باختلاف يسير

باليقين يكون سكون النفس وتتحقق طمأنينة القلب:

أخبرنا أبو عبد الله، أنبأ الحسن، ثنا أبو عثمان قال: سمعت السري يقول: تدرون ما اليقين؟ «هو سكون القلب عند العمل بما صدق به القلب، فالقلب مطمئن ليس فيه تخويف من الشيطان، ولا يؤثر فيه تخوف، فالقلب ساكن آمن ليس يخاف من الدنيا قليلا ولا كثيرًا، فإذا هم القلب بباب من الخير لم يخطر بقلبه قاطع يمنعه، ولا يضعفه عن ما نوى من الخير، سكن قلب الموقن ورسخ فيه حتى صار كأنه طبع عليه وجبل عليه جبلا، وإنك لا تصل إلى نفع إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله. واعلم أن الخلق لا يملكون لأنفسهم شيئا، ولا يقدرون عليه إلا بالله؛ ليسكن قلب الموقن إلى الله عز وجل دون خلقه فلا يرجو غير الله ولا يخاف غيره، وزال عن قلبه جميع الخلق من أن يرجو منهم أحدًا أو يخافه، أو يتكل عليه أو على ماله أو على بدنه، أو على احتياله، فلما عرف ذلك عزّ وقوي واستغنى بالله في كل شيء دون ما سواه»

كتاب الزهد الكبير – أبو بكر أحمد البيهقي – ص ٣٥٢



باليقين يكون رسوخ العلم:

اليقين يحمله على الأهوال، وركوب الأخطار.

وهو يأمر بالتقدم دائما، فإن لم يقارنه العلم حمل على المعاطب.

والعلم يأمر بالتأخر والإحجام، فإن لم يصحبه اليقين قعد بصاحبه عن المكاسب والغنائم. والله أعلم.

وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول، ولا يتغير في القلب.

باليقين يكون الفلاح في الدنيا والآخرة:

خص سبحانه وتعالى أهل اليقين بالفلاح، فقال: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)} [البقرة: ٤ - ٥].

يقول ابن كثير رحمه الله: «يقول الله تعالى: (أُولَٰئِكَ) أي: المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق من الذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل إلى الرسول، ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة، وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرمات على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى»

«وحصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك».

باليقين تكون النجاة من فتنة القبر:

«العبد إذا وضع في قبره، وسوي عليه التراب، وانصرف عنه الناس راجعين إلى أهلهم، جاءه ملكان في القبر، فتعاد روحه في جسده، ويحيا حياة برزخية، ليست حياة مثل حياة الدنيا، حياة الله أعلم بها، فيجلسانه في قبره،

فيقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟

فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيي، فيقال له: كيف عرفت؟ يقول: قرأت كتاب الله، فدريت وعرفت، فينادي مناد: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا من الجنة، ويوسع له في قبره مد البصر، فيأتيه من ريح الجنة وروحها، فينظر إلى مسكنه في الجنة، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

وأما المرتاب الذي عاش على الريبة والشك وعدم اليقين، وإن كان يدعي الإسلام، «إذا كان عنده شكوك وعنده ريب في دين الله كالمنافق فإنه يتلجلج، فإذا قالوا له: من ربك؟ يقول: لا أدري، وإذا قالوا: ما دينك؟ يقول: لا أدري، وإذا قيل: من نبيك؟ يقول: لا أدري، هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.



يعني أنه في الدنيا يقول ما يقوله الناس من غير إيمان، هذا المنافق والعياذ بالله، هذا المنافق الذي أظهر الإسلام، وهو لا يعتقده في قلبه، وإنما أظهره من أجل مصالحه الدنيوية، فيقول في الدنيا: ربي الله، وهو غير مؤمن بها، قلبه منكر - والعياذ بالله -.

يقول: ديني الإسلام وهو لا يؤمن بالإسلام، قلبه منكر.
يقول: نبيي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يؤمن برسالة محمد في قلبه، إنما يقول بلسانه فقط «هذا هو المنافق».

فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمرزبة من حديد يصيح بها صيحة لو سمعه الثقلان لصعقوا، يسمعها كل شيء إلا الإنسان لو سمعه لصعق؛ أي لمات من الهول، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من سمومها وحرها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة».

هذه عيشته وحالته في القبر - والعياذ بالله - لأنه ما أجاب بالجواب السديد.



باليقين تكون النجاة من النار بإذن الله:

(تواترت الأحاديث بخروج من قال: "لا إله إلا الله" من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال: "لا إله إلا الله"، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت. وغالبهم إنما يقولها تقليدا أو عادة؛ وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء، كما في الحديث:

"سَمِعْتُ النَّاسَ يقولونَ شيئًا فَقُلْتُهُ" (١) وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله:

{إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [سورة الزخرف: ٢٢]

فلا منافاة بين الأحاديث؛ فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها امتنع أن ترجح سيئاته، بل كانت حسناته راجحة فيحرم على النار).

كتاب تفسير آيات أشكلت -.ابن تيمية - ص ٣٥٨

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)



ذُكِرَ عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال:

((لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار))

ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١/ ٤٨


تعزيز اليقين بالقلب
٤



التزام منهج أهل السنة والجماعة:

الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة يفيد الرجل يقينا وثباتا، ومخالفته تورثه اضطرابا وتنقلا.

فتجد أهل الكلام هم أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول، وجزما بالقول في موضع، وجزما بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر! وهذا دليل عدم اليقين.

أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح عامتهم رجع قط عن اعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرا على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين، كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة.

((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٤/٥٠).

قراءة القرآن وتدبره:

اعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه. فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمى وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم إلا بتأثير هدايته.

ذكر الله تعالى والتقرب إليه:

الطمأنينة إلى الله سبحانه كيفية ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به، ويبصر به، ويتحرك به، ويبطش به. فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة، فتنجذب روحه إلى الله، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه.

ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨].

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقرارُه بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتَّى بشيء سوى الله وذكرِه البتَّة، وأما ما عداه فالطمأنينةُ إليه وبه غرورٌ، والثقةُ به عَجْزٌ.

سؤال الله تعالى اليقين:

اليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة، كما يكون بالعلم، والريب المنافي لليقين يكون ريباً في العلم، وريباً في طمأنينة القلب؛ ولهذا جاء في الدعاء المأثور:

"اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ بِهِ بينَنَا وبينَ معاصيكَ ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جنتَكَ، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا، اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا ، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثَأْرَنا عَلَى مَنْ ظلَمَنا، وانصرْنا عَلَى مَنْ عادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنا في دينِنا، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا"(١)

وفي حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم أنه قال:
" سلوا اللَّهَ العفوَ والعافيةَ فإنَّ أحدًا لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيرًا منَ العافيةِ" (٢)

كتاب الإيمان – ابن تيمية – ص ١٨٢
(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٣٤)، والطبراني في ((الدعاء)) (١٩١١)
(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)



التدبر والتأمل في آيات الله تعالى الشرعية والكونية:

الله تعالى قد جعل لكل مطلوب سببا وطريقا يوصل إليه، والإيمان أعظم المطالب وأهمها وأعمها، وقد جعل الله له مواد كبيرة تجلبه وتقويه، كما كان له أسباب تضعفه وتوهيه، ومواده التي تجلبه وتقويه أمران: مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو التدبر لآيات الله المتلوة من الكتاب والسنة، والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها، والحرص على معرفة الحق الذي خلق له العبد، والعمل بالحق؛ فجميع الأسباب مرجعها إلى الأصل العظيم.



معرفة أسماء الله الحسنى:

وأما التفصيل، فالإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة؛ منها بل أعظمها: معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله فيها. فقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إنَّ للهِ تِسعةً وتِسعينَ اسمًا -مائةً إلَّا واحِدًا- من أحصاها دخَلَ الجنَّةَ)) (١)

أي: من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد لله بها؛ دخل الجنة. والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون؛ فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها.

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ص٧١

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)

معرفة أسماء الله الحسنى:

ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته؛ فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه؛ فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل ومن داء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله)



الطمأنينة الحقيقية في معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله سبحانه:

حقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنةً: أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرَتْ به عنه رسلُه؛ فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان، وانشراح الصدر له، وفرحِ القلب به؛ فإنه تعرُّفٌ من تعرُّفات الربِّ سبحانه إلى عبده على لسان رسوله. فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالطَ الإيمانُ بأسماء الربِّ تعالى وصفاتِه وتوحيدِه وعلُوِّه على عرشه وتكلُّمِه بالوحي بشاشةَ قلبه، فينزلُ ذلك عليه نزولَ الماء الزُّلالِ على القلب الملتهِب بالعطش، فيطمئنُّ إليه، ويسكن إليه، ويفرح به، ويلين إليه قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهدَ الأمر كما أخبرت به الرسلُ. بل يصير ذلك لقلبه بمنزلةِ رؤية الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه في ذلك مَن بين شرقِ الأرض وغربِها لم يلتفت إلى خلافهم.

فهذه الطمأنينةُ أصلُ أصولِ الإيمان التي عليها قام بناؤه. ثم يطمئنُّ إلى خبره عما بعدَ الموتِ من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة، حتى كأنه يشاهدُ ذلك كلَّه عِيانًا. وهذا حقيقةُ اليقين الذي وصف به سبحانه أهلَ الإيمان حيث قال: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: ٤].
فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئنَّ القلبُ إلى ما أخبرَ الله سبحانه به عنها طمأنينتَه إلى الأمور التي لا يشكُّ فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقًّا باليوم الآخر.



الإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله، وهو سبب لمعرفة الله، والعلم به، بل إن العلم بالله ومعرفة الله - جل وعلا – تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وبمعرفة آثار الأسماء والصفات في ملكوت الله جل وعلا.



أسباب تعزيز وترسيخ اليقين بالقلب:

أولًا: الإيمان:

لا شك أن اليقين الحقيقي الثابت الذي لا يتزعزع بزمانٍ ولا مكانٍ ولا حالٍ ينبع من معين الإيمان بالله ورسوله وبقضائه وقدره واليوم الآخر، فهناك تلازم بين الإيمان واليقين، فالأول سبب في تحقق الثاني.

ثانيًا: التفكر:

إن التفكر والتأمل والتدبر في الكون وما أوجده الله فيه من مخلوقات وأشياء عديدة ومتنوعة بعقل مجرد يوصل لا محالة إلى اليقين بألوهية وربوبية الخالق الموجد الحق سبحانه وتعالى، ولقد كانت قضية إعمال العقل والتفكر من وسائل الأنبياء لدعوة أقوامهم إلى الإيمان وتحقيق اليقين.

ثالثًا: تدبر القرآن:

إن قراءة القرآن وتدبره بعناية ترسخ اليقين وتقوي منه، وتؤكد صدق القرآن ونبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم. فالإخبار عن المغيبات عن طريق القرآن الكريم من شأنه أن تجعل الإيمان في قلوب المؤمنين الصادقين يزداد رسوخا وثباتا، فمن تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق.



وَفينا رَسولُ اللَهِ يَتلو كِتابَهُ
إِذا اِنشَقَّ مَعروفٌ مِنَ الصُبحِ ساطِعُ

أَرانا الهُدى بَعدَ العَمى فَقُلوبُنا
بِهِ موقِناتٌ أَنَّ ما قالَ واقِعُ

يَبيتُ يُجافي جَنبَهُ عَن فِراشِهِ
إِذا اِستُثقِلَت بِالكافِرينَ المَضاجِعُ

وَأَعلَمُ عِلماً لَيسَ بِالظَنِّ أَنَّني
إِلى اللَهِ مَحشورٌ هُناكَ وَراجِعُ

الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة




مسائل وأحكام
٥



قال ابن تيمية:

(من ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة) (١)

قال محمد بن عبد الوهاب:

(من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن) (٢)

(١) كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج ١٣ ص ٤٦٦
(٢) كتاب الرسائل الشخصية - محمد بن عبد الوهاب – ص٢٤

قال تعالى لنبيه {واعبد رَبك حَتَّى يَأْتِيك الْيَقِين} [سورة الحجر ٩٩

وقال الحسن البصري: (لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلا دون الموت)

وقد اعتقد بعض الغالطين من هؤلاء ان المعنى: اعبد ربك حتى تحصل لك المعرفة، ثم اترك العبادة، وهذا جهل وضلال بأجماع الأمة، بل اليقين هنا كاليقين في قوله {حَتَّى أَتَانَا الْيَقِين} [سورة المدثر ٤٧]

في الصحيح لما مات عثمان بن مظعون قال النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَمَّا عُثْمَانُ فقَدْ جَاءَهُ -واللَّهِ- اليَقِينُ، وإنِّي لَأَرْجُو له الخَيْرَ، واللَّهِ ما أَدْرِي وأَنَا رَسولُ اللَّهِ ما يُفْعَلُ به" (١)

فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربه، ولا تصح العبادة إلا به، وإن كان له درجات متفاوتة.

قال تعالى: {آلم ذَلِك الْكتاب لَا ريب فِيهِ هدى لِلْمُتقين} إِلَى قَوْله {وبالآخرة هم يوقنون} [سورة البقرة ١-٤]

وَقَالَ {وَجَعَلنَا مِنْهُم أَئِمَّة يهْدُونَ بأمرنا لما صَبَرُوا وَكَانُوا بأياتنا يوقنون} [سُورَة السَّجْدَة ٢٤

كتاب الاستقامة – ابن تيمية – ج ١ ص ٤١٨

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - باب العين الجارية في المنام - حديث رقم ٦٦٥٠

معنى الظن في القرآن الكريم:

السؤال

يقول العلماء: الظن في القرآن هو بمعنى اليقين، فهل هذا في كلام الله فقط، أو يدخل فيه قول صاحب الجنتين: {قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا} [الكهف:٣٥]؟

الجواب

هذا ليس بصحيح، فالظن أصله الشك، وقد يأتي بمعنى اليقين، مثل قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة:٤٦] أي: يتيقنون،

أما الظن في قصة صاحب الجنتين فبمعنى الشك، وهكذا قوله: {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة:٧٨] يعني: يشكون، وقوله تعالى: {وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية:٢٤] يعني: يشكون،

فالظن معناه الشك، وقد يأتي بمعنى اليقين في بعض المواضع.

الشك والشبهات من مكايد الشيطان ومكره:

قال ابن القيم:
(من كيده بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية! فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق اليونان، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان!
فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان والدين، كإخراج الشعرة من العجين؟!

ومن كيده: ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات؛ فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقا إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن)

مسألة التنطع في الاستدلال:

التنطع في الاستدلال هو: طريقة أهل الكلام وأهل المنطق الذين عدلوا عن الاستدلال بالكتاب والسنّة إلى الاستدلال بقواعد المنطق ومصطلحات المتكلمين.

والمنطق هذا من أين جاء؟، وقواعد المنطق من أين جاءت؟
جاءت من اليونان، استجلبوها واستعملوها في الإسلام، وتركوا الاستدلال بالكتاب والسنّة، وقالوا: إن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، وإنما الذي يفيد اليقين هو الأدلة العقلية - بزعمهم -، فبذلك هلكوا.

الواجب أن يكون الاستدلال بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين والقياس الصحيح، كما عليه علماء أهل السنّة والجماعة.
ولهذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في القبائل، وأن يقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنّة واشتغل بعلم الكلام".

مسألة التنطع في الاستدلال:

فمن هؤلاء من يترك كلام الله وكلام رسوله ويأتي بقواعد المنطق، حتى في العقائد وهو ما يسمونه الآن علم التّوحيد، يسمون علم المنطق وعلم الكلام: علم التّوحيد.

ولذلك وقعوا في الهلاك، وضلوا وأضلوا، وقد انتهى أمرهم إلى الحيرة، كما شهد بذلك أكابرهم.

وبعضهم عند الوفاة أشهد الحاضرين بأنه مات وهو لا يعرف شيئاً، مع أنه أفنى عمره في علم الكلام والجدل والمنطق، هذا مآل المتنطعين- والعياذ بالله-، وشهاداتهم على أنفسهم موجودة، مما يدل على صدق قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"هلَكَ المتنطِّعونَ" (١)

كتاب إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد – صالح بن فوزان الفوزان – ج ١ ص٢٧٩

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) مع اختلاف يسير.

مدى صحة تفسير كلمة التوحيد بإخراج اليقين الفاسد:

السؤال
هناك من يفسر (لا إله إلا الله) بأنها إخراج اليقين الفاسد من ذات الأشياء، وإدخال اليقين الصادق بالله، فهل لهذا التعريف أصل؟

الجواب
لا أعرف هذا، لكن من شروط كلمة التوحيد اليقين المنافي للشك والريب، وأن تتيقن بمعنى هذه الكلمة، وأن معناها نفي العبادة عن غير الله، ولا شك في أن عبادة غير الله فاسدة، فلابد من أن تنفيها وتنكرها.

واليقين الفاسد لا يسمى يقيناً، فالمؤمن ليس عنده يقين فاسد، بل المؤمن عنده يقين صحيح، وهو توحيد الله والإيمان به، فيكيف يقال: يخرج اليقين الفاسد؟! فالمراد أن ينفي العبودية عن غير الله بأنواعها، فيقول: (لا إله إلا الله) عن يقين لا شك فيه، فإن هذا من شروط كلمة التوحيد، أعني اليقين المنافي للشك والريب، فلا يكون عندك شك في استحقاق الله العبادة، وأن عبادة غيره باطلة.



الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة:

قال ابن تيمية:
(أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباعا لها تصديقا وعملا، وحبا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها.

لا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه.

وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف؛ فما كان من معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه؛ ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم)

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج ٣ ص٣٤٧

لا بد من اليقين:

الإيمان بالقدر معناه اليقين، يعني هل يكفي غلبة ظن؟ لا يكفي، بل لا بد من اليقين، فلا يكفي غلبة ظن.

ولا يكفي من باب أولى شك ولا وهم، فهذه الأمور العقدية لا بد أن يعقد عليها القلب لا بد، بحيث لا تقبل النقيض ولا التردد.



هل اليقين يزيد كما يزيد الإيمان؟

الجواب:

إذا زاد اليقين زاد الإيمان، فاليقين من الإيمان، فزيادة اليقين زيادة في الإيمان، فقوله: {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة:٢٦٠]

يعني: ليزداد إيماني.



اليقين يضعف ويقوى ولكلٍ علامة:

اليقين: الإيمان كله، وأنه كمال الإيمان، وقد يطلق اليقين على الإيمان.

ومعلوم أن قوة اليقين: أن يكون الإنسان آخذاً بجميع أوامر الله جل وعلا، مجتنباً نواهيه حسب طاقته، فقد يضعف يقين الإنسان مع وجود أصل الإيمان عنده، فيرضي الناس بسخط الله، فهذا من ضعف اليقين: أن يرضي الناس بسخط الله، ويرتكب مساخط الله لأجل موافقة الناس ورضاهم، فهذا سببه ضعف اليقين وضعف الإيمان.



هل نقص الإيمان يكون في العمل أو العمل واليقين معاً؟

الجواب
يكون في الكل، يكون في اليقين والإيمان الذي هو تصديق القلب ويكون في العمل؛ هل تصديق آحاد الناس كتصديق أبي بكر أو تصديق عمر أو تصديق علي أو عثمان أو أشباههم؟ لا يمكن.

بل الناس في آن واحد يتفاوتون في التصديق، حتى إن بعض المؤمنين لو شكك في أمور الآخرة شك، أو شكك في شيء مما يجب الإيمان به يشك؛ لأنه ليس عنده يقين يمنعه من ذلك الأمر، وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى أن يتوقف فيه،

والذين خالفوا في هذا هم أصحاب بدع وأهواء لا يترسمون الدليل، ولا يتبعونه، وإنما يتبعون أقوال أئمتهم ومن يعظمونهم، وهو مما يدخل في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا} [النساء:٦٠]

فلهم نصيب من هذا، ولا يلزم أن يكونوا كفاراً، ولكن لهم نصيب من ذلك.



العقيدة تزيد وتنقص بلا شك، والدليل على ذلك عقلي وشرعي؛ أما الدليل العقلي: فلأن الاعتقاد مبني على العلم، والعلم مبني على طرق العلم، وطرق العلم تختلف، فلزم من ذلك أن يزيد الاعتقاد وينقص باعتبار طرقه، وهذا دليل عقلي على أن الاعتقاد يزيد وينقص.

ونضرب مثلا محسوسا لهذا: فأنت إذا أخبرك رجل ثقة بخبر اعتقدت مخبره، فإذا جاءك ثان وأخبرك بنفس الخبر زاد اعتقادك، فإذا أخبرك ثالث فرابع زاد أكثر، فإذا شاهدت ذلك بنفسك فإن اعتقادك يزيد أكثر وأكثر؛ ولهذا قال المحدثون: «إن المتواتر يفيد العلم اليقيني أو الضروري» على خلاف في هذا.

أما الدليل الشرعي على أن الاعتقاد يزيد وينقص، فمنه قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]، وعلى هذا فالاعتقاد يزيد وينقص بدليلين؛ أحدهما: أثري، والثاني: نظري، وإن شئت فقل: أحدهما: سمعي، والثاني: عقلي.

فالاعتقاد يزيد وينقص، وأنت بنفسك تحس بذلك؛ فأحيانا يكون عندك حضور ذهن وصفاء نفس، فتتعبد لله وكأنك تشاهد الجنة والنار، وأحيانا تستولي عليك الغفلة، فلا يحصل عندك هذا الاعتقاد؛ ولهذا لما سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي عليه الصلاة والسلام: ((نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتَّى كَأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الأزْوَاجَ وَالأوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا- يعني غفلنا، قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ((يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)) وهذا أمر مشاهد. (١)

كتاب شرح العقيدة السفارينية – محمد بن صالح العثيمين – ص٤٠٣

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب المرتد، باب ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقًا كان أو غيره (٨/ ٣٤٨)، رقم: (١٦٨٤٥).



"جاءَ ناسٌ مِن أصْحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: إنَّا نَجِدُ في أنْفُسِنا ما يَتَعاظَمُ أحَدُنا أنْ يَتَكَلَّمَ به، قالَ: وقدْ وجَدْتُمُوهُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: **ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ**"

أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان - حديث رقم ٢١٩



((لا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية

فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة

والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه))

زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن القيم – ١/١٩٧